صفات أهل الإيمان في سورة المؤمنين
دراسة تحليلية

د. فيصل محمود آدم إبراهيم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مستخلص البحث

إن الإيمان أعظم واجب كُلِّفَ به الإنسان في هذه الحياة، فهو حق الله عز وجل على عباده، من حقَّقه كان له الفوزُ والفلاحُ والنجاح، وكان له التمكين في الأرض، ومن أَخَلَّ به كان له الخسران المبين. تأتي أهمية الكتابة في هذا الموضوع لما رأه الباحث من اضمحلال قيم الإيمان في الأمة المسلمة شعوباً وحكومات. أما على مستوى الشعوب فإذا تتبعت سلوك أكثرهم لوجدت ما يقدح في إيمانهم إلا من رحم ربي، أما على مستوى الحكومات فإن أكثر حكام المسلمين قد انتكسوا عن الإيمان بإقصائهم لشريعة الإسلام عن الحكم وموالاتهم لأعداء الإسلام. ولتحقيق أهداف البحث فقد استخدمت المنهج الاستقرائي بجمع الآيات وأقوال العلماء أولا، ثم المنهج الوصفي التحليلي لتحرير الآراء واستنباط الأحكام ثانيا. خلص البحث إلى نتائج أهمها: إن التزام المؤمنين وتمسكهم بالصفات المتعلقة بأعمال الجوارح خير دليل على رسوخ الإيمان في نفوسهم وذلك هو السبيل لنصرتهم وعزتهم والظفر على عدوهم.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد..

يعتقد الكثير من الناس أن الإيمان مجرد قول باللسان، أو عرفان بالجنان دون تحقيق لمقتضياته عملاً وسلوكاً في واقع الحياة. ومن هذا الجانب ضَلّ كثيرٌ من الناس في فهم عقيدة الإسلام، وبالتالي في تطبيق أحكامه وشرائعه في حياتهم. إنّ القرآن الكريم قد عرض كثيراً من صفاتِ أهلِ الإيمان، وتحدّثت آياته الكريمةُ عن أهمّها وأشهرِها، ودعت المؤمنينَ إلى أنْ يتّصفوا بها حتى يعيشوا حياةً إيمانيةً مباركةً سعيدةً، وحتى ينالوا جنةَ الله وثوابه ونعيمه. ولقد كان حديثُ القرآن الكريم عن صفاتِ المؤمنين شاملاً ومتنوعاً، وقد توزّعت سور القرآن الحديثَ عن صفات المؤمنين في الفترة المكية والمدنية.

تعَدُّ سورة المؤمنين واحدة من السور المكية التي تحدثت عن صفات المؤمنين التي يهدف هذا البحث إلى إبرازها وبيانها، حيث اشتملت السورة على نحوٍ من إحدى عشرة صفة من صفات المؤمنين؛ منها ما هو متعلق بأعمال القلوب، ومنها ما هو متعلق بأعمال الجوارح، وهذا يعطي أهميةً كبيرة في تذكير المسلمين بها، حتى لا تُنسى ولا تُهمَل، وحتى يتربّى المجتمع الإسلامي على هذه الصفاتِ والأخلاق الكريمة. وقد استخدمت المنهج الاستقرائي بجمع الآيات وأقوال العلماء المتعلقة بصفات المؤمنين في السورة، ثم المنهج الوصفي التحليلي لتحرير الآراء واستنباط الأحكام.

وتسهيلاً لموضوع البحث فقد قمت بتقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين تحتهما مطالب ثم خاتمة. تحدثت في المقدمة عن أهمية البحث وهدفه ومنهجه وفي التمهيد عن تسمية السورة

ووقت نزولها وفضلها وموضوعها. ثم جاء المبحث الأول تحت عنوان: الصفات المتعلقة بأعمال القلوب. وهي خمسٌ، جعلت كل صفة منها في مطلب، وهي: الخشوع في الصلاة، والإشفاق من خشية الله، والإيمان بآيات الله، وعدم الشرك بالله، ووجل القلوب خوفاً من الله. ثم جاء المبحث الثاني تحت عنوان: الصفات المتعلقة بأعمال الجوارح، وهي ستٌّ جعلت كل واحدة منهن في مطلب، وهي: الإعراض عن اللغو، وإيتاء الزكاة، وحفظ الفروج، ورعاية الأمانات والعهود، والمحافظة على الصلوات، والمسارعة في الخيرات.

أسأل الله تعالى أن يجعله صالحاً، ولوجهه خالصاً، وأن يكتب له القبول عنده، وأن يحقق به النفع والفائدة للباحث الفقير إلى رحمة مولاه، ولطلاب العلم خاصة، والمسلمين عامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد: تسمية السورة ووقت نزولها ومناسبتها وفضلها وموضوعها

أولاً: تسمية السورة

اسمها سورة المؤمنين ويقال (سورة المؤمنون) فالأول على اعتبار إضافة السورة إلى المؤمنين لافتتاحها بالإخبار عنهم بأنهم أفلحوا. والثاني على حكاية لفظ المؤمنون الواقع أولها في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] فجعل ذلك اللفظ تعريفاً للسورة.[2]

وقد جاءت تسمية هذه السورة في السنَّة باسم (سورة المؤمنين)، فقد روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ، "قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْمُؤْمِنُونَ – فِي الصُّبْحِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ

(١) سورة المؤمنون: ١

(٢) محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية (١٩٨٤م) ١٨/١

ذِكْرُ مُوسَى، وَهَارُونَ - أَوْ ذِكْرُ عِيسَى - أَخَذَتْهُ سَعْلَةٌ فَرَكَعَ".(١) وقد جرى تسميتها عند المفسرين بسورة (قد أفلح)(٢) وسميت سورة المؤمنين لأنها تدور حول الإيمان والمؤمنين من أولها إلى آخرها.(٣) قال البقاعي "مقصودها اختصاص المؤمنين بالفلاح، وتسميتها واضح الدلالة على ذلك".(٤)

ثانياً: وقت نزولها وعدد آياتها

نقل ابن الجوزي إجماع المفسرين على أنها مكية نزلت بمكة.(٥) ولَا نَظِير لَهَا فِي عَددهَا. وكَلِمُها ألف وثماني مئة وَأَرْبَعُونَ كلمة، وحروفها أَرْبَعَة آلَاف وثماني مئة وحرفان. وَهِي مئة وثماني عشرَة آيَة فِي الْكُوفِي ومئة وتسع عشرة آيَة فِي عدد البَاقِينَ. اختلافها آيَة: ﴿وَأَخَاهُ﴾(٦) لم

(١) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. صحيح البخاري. بيروت: دار طوق النجاة. (١٤٢٢ هـ). ٦/ ١٤٥

(٢) انظر: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني. تفسير عبد الرزاق. بيروت: (١٤١٩ هـ). ٢/ ٤١٢ محمد بن محمد بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. مصر: دار هجر (١٤٢٤ هـ) ٨/ ٨١٠ عبد الله بن محمد بن عطية الأندلسي. المحرر الوجيز. ١/ ٦

(٣) الخطيب الشربيني، محمد محمد. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. بيروت: دار الجيل (١٤١٣ هـ). ٢/ ٦١

(٤) إبراهيم بن عمر البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. (دون تاريخ) ١٤/ ١

(٥) جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. بيروت: دار الكتاب العربي. (١٤٢٢ هـ) ٢/ ٤٣٧

(٦) سورة المؤمنون الآية ٤٥

يعدها الْكُوفِي وعدها الْبَاقُونَ.(١)

وذكر ابن عاشور أن عدد آياتها مائة وسبع عشرة في عد الجمهور. وعدها أهل الكوفة مائة وثمان عشرة، فالجمهور عَدُّوا قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٢) آية واحدة، وأهل الكوفة عَدُّوا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ آية، وما بعدها آية أخرى.(٣) وهذا هو الذي عليه مصحف المدينة المنورة وأكثر المصاحف المطبوعة اليوم.

ثالثاً: مناسبتها لما قبلها وما بعدها

ووجه مناسبتها لما قبلها وهي (سورة الحج) أنه – تعالى – لما ختمها بقوله ﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٤) وكان ذلك مجملًا، فصَّله في فاتحة هذه السورة، فذكر خصال الخير التي مَنْ فعلها فقد أفلح، فقال ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾(٥) ولما ذكر في أول الحج قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ

---

(١) عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، البيان في عدّ آي القرآن. الكويت: مركز المخطوطات والتراث. (١٤١٤هـ). ١٩٧

(٢) سورة المؤمنون: ١٠، ١١

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨

(٤) سورة الحج: ٧٧

(٥) سورة المؤمنون: ١، ٢

﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾(1) زاده هنا بياناً وإطناباً في قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾(2) فكل جملة أُوجِزَت هناك في القصة أُطْنِبَ فيها هنا.(3) وفي مناسبة فاتحتها وخاتمتها قال الزمخشري "جعل فاتحة السورة قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ وأورد في خاتمتها إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.(4)

وفي مناسبة خاتمة سورة المؤمنين لفاتحة ما بعدها وهي سورة النور، قال السيوطي رحمه الله " وجه اتصالها بسورة {قَدْ أَفْلَحَ} أنه لما قال فيها: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾(5) ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه، من الزانية والزاني، وما اتصل بذلك من شأن القذف، وقصة الإفك، والأمر بغض البصر، وأمر فيها بالنكاح حفظاً للفروج، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف، وحفظ فرجه، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا. ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط، ولا تناسق أبدع من هذا النسق.(6)

---

(1) سورة الحج: ٥

(2) سورة المؤمنون ١٣/٢

(3) السيوطي، الدر المنثور ١١١/٥

(4) أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري.. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي. ط٣ (١٤٠٧هـ) ٢٠/٣

(5) سورة المؤمنون: ٥

(6) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ ١١٢

رابعاً: فضلها

القرآن الكريم فضله عظيم وكبيرٌ؛ فجميع سوره لها بركة، وقراءتها فيها ثواب عظيم، ولكن ليس لأحد أن يخص آية، أو سورة من القرآن بمزيد فضل إلا بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. وكل الأحاديث التي وردت في فضل سورة المؤمنين ضعيفة بل موضوعة، وأشهرها حديث عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، يُسْمَعُ عِنْدَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَمَكَثْنَا سَاعَةً، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: "اللهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَلَا تُحْزِنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا". ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَرَأَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ"(١). قال النسائي "هذا حديث منكر، لا نعلم أحداً رواه غير يونس بن سُليم، ويونس بن سُليم لا نعرفه، والله أعلم"(٢).

وقد أكد الألباني ما ذكره النسائي ثم قال "وأقرّه الحافظ ابن كثير في تفسيره، وأما مُخْتَصِرُهُ – الصابوني –؛ فقد أورد الحديث خلافاً لشرطه في مقدمته أولاً، وحذف تضعيف النسائي له وإقرار الحافظ إياه ثانياً، وجعل تخريج الحافظ له في حاشيته مُوهِماً أنه من علمه، ثالثاً. وأما الحاكم فقال: (صحيح الإسناد). وتعقّبه الذهبي فقال: (قلت: سئل عبد الرزاق عن

(١) أبو عبد الله أحمد بن شعيب النسائي. السنن الكبرى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢١هـ). ٢/ ٧/ ١٤٤٣

(٢) النسائي، السنن الكبرى ٢/ ٧/ ١٤٤٣

شيخه ذا؟ فقال: أظنه لا شيء) ".[1]

ومن هنا يتضح لنا أن كثيراً مما ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث في فضائل السور غير صحيح، وغير ثابت عنه فلنتأمل ذلك جيّداً.

خامساً: موضوعها

تدور موضوعاتها حول الإيمان والمؤمنين من أولها إلى آخرها، فهي إذ تصف المؤمنين، تذكر أسس الإيمان في الإنسان والكون، ثم تتعرض لرسالات بعض الأنبياء وكلها تدعو للإيمان، ثم تعود إلى المؤمنين وخصالهم وإلى الكافرين وأعمالهم مع التعرض لبعض صفات الله تعالى، ونراها تختتم الكلام بتوجيهات للنبي صلّى الله عليه وسلم، ثم بذكر مشهد من مشاهد يوم القيامة للعبرة والعظة.[2] ويمكن تلخيص موضوعات السورة كالآتي:

١- تقرير الفلاح للمؤمنين، وبيان الصفات التي حازوا بها الفلاح.

٢- بيان دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق؛ وذلك من خلال عرض أطوار الحياة الإنسانية منذ نشأتها الأولى إلى نهايتها في الحياة الدنيا.

٣- بيان حقيقة الإيمان وأنه إفراد العبودية لله وحده دون سواه.

٤- بيان غفلة الخلق عن ابتلاء الله لهم بالنعمة، واغترارهم بما هم فيه من متاع.

٥- لفت نظر الإنسان إلى الاعتبار بخلق السماوات ودلالته على حكمة الله تعالى.

---

(١) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة. الرياض: دار المعارف، (١٤١٢هـ) ٣/ ٩/ ١٢٤٢٣

(٢) الخطيب الشربيني، محمد محمد. السراج المنير. بيروت: دار الجيل، (١٤١٣هـ). ٤/ ٦١

٦- التذكير بدعوة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح.

٧- الحث على أكل الطيب الحلال، ونبذ الخبيث الحرام، والإكثار من العمل الصالح.

٨- استنكار القرآن لموقف المشركين العجيب من رسولهم الأمين، وهم يعرفونه ولا ينكرونه، وقد جاءهم بالحق لا يسألهم عليه أجراً.

٩- ذَكَّرَتِ السورة بمشهد من مشاهد القيامة، وختمت بتعقيب يقرر التوحيد المطلق، والتوجه إلى الله بطلب الرحمة والغفران.

المبحث الأول

الصفات المتعلقة بأعمال القلوب

بالنظر والاستقراء؛ وجد الباحث أن صفات المؤمنين التي جاء ذكرها في سورة المؤمنين هي إحدى عشرة صفة. منها ما هو متعلق بأعمال القلوب ومنها ما هو متعلق بأعمال الجوارح. وقد جاء ذكرها غير مرتبة ترتيباً نوعياً حسب السياق، وفي ذلك حكم وأسرار قد لا ندركها بعقولنا القاصرة؛ وتنقسم هذه الصفات إلى طائفتين اثنتين، الطائفة الأولى تبدأ من مطلع السورة إلى الآية التاسعة منها، وذكر فيها ست من الصفات واحدة منها متعلقة بأعمال القلوب وهي الخشوع في الصلاة، والخمس الأخرى متعلقة بأعمال الجوارح وهي: الإعراض عن اللغو، وإيتاء الزكاة، وحفظ الفروج، ورعاية الأمانات والعهود، والمحافظة على الصلوات. أما الطائفة الثانية من الآيات فتبدأ من الآية السابعة والخمسين إلى الآية الواحدة والستين. وقد ذكر فيها خمس من الصفات؛ واحدة من هذه الصفات متعلقة بأعمال الجوارح وهي المسارعة في الخيرات والسبق لها، والأربع الأخرى متعلقة بأعمال القلوب وهي: الإشفاق

من خشية الله، والإيمان بآيات الله، وعدم الشرك بالله، ووجل القلوب خوفاً من الله. وقد قام الباحث بتصنيف هذه الصفات وتقسيمها إلى صفات متعلقة بأعمال القلوب، وأخرى متعلقة بأعمال الجوارح. وسأبدأ بالصفات المتعلقة بأعمال القلوب أولاً نظراً لمنزلة القلب وشرفه على الجسد ففي الحديث أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ".(1)

المطلب الأول: الخشوع في الصلاة

قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ (2) افتتحت السورة بما يؤكد فلاح المؤمنين المصلحين العابدين، الخاشعين المتقين. قال ابن عاشور "افتتاح بديع لأنه من جوامع الكلم فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله، فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب، فكأنه قيل: قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه".(3) والخشوع في اللغة: مأخوذ مِن خَشَع يَخْشَعُ خُشوعاً واخْتَشَع وتَخَشَّعَ: إذا رَمَى بِبَصَرِهِ نَحْوَ الأَرض وغَضَّه وخفَضَ صَوْتَهُ. وقيل الخُشوع قَرِيبٌ مِنَ الخُضوع إِلا أَنّ الخُضوع فِي الْبَدَنِ، وَهُوَ الإِقْرار، والخُشوعَ فِي البدَن والصوْت وَالْبَصَرِ.(4)

أما عند الفقهاء فإن الخشوع في الصلاة هو التذلل لله فيها، والاستكانة والخضوع

(1) محمد بن حيح إ خاري ١ ٢٠ ٨

(2) محمد ورة المؤمنون ن ١ ٢

(3) إ بن ثل و ،إ حرير و إ تنوير ١٨٨

(4) محمد بن مكرم إ بن ظ ور الإفريقي. إ سان العرب. بيروت: دار صادر، (١٤١٤ اهـ) ٨/ ٧

بالخوف الحاصل في قلب المصلي باستشعاره الوقوف بين يدي خالقه في صلاته ومناجاته إياه فيها، فمن قَدّر الأمر حق قدره، ولم يفارق الخوف قلبه، خشع في صلاته، وأقبل عليها، ولم يشغل سره بسواها، وسكنت جوارحه فيها، ولم يعبث بيده ولم يلتفت إلى شيء من الأشياء بعينه.(١)

وهناك من يرى أن الخشوع من أعمال الجوارح مِثْلَه مِثْلُ السكون وترك الالتفات، قال الرازي "واختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة، ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات، ومنهم من جمع بين الأمرين وهو الأولى. فالخاشع في صلاته لا بد وأن يحصل له مما يتعلق بالقلب من الأفعال نهاية الخضوع والتذلل للمعبود، ومن التروك أن لا يكون ملتفت الخاطر إلى شيء سوى التعظيم، ومما يتعلق بالجوارح أن يكون ساكناً مطرقاً ناظراً إلى موضع سجوده، ومن التروك أن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، ولكن الخشوع الذي يرى على الإنسان ليس إلا ما يتعلق بالجوارح فإن ما يتعلق بالقلب لا يُرى.(٢)

---

(١) انظر: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، رد المحتار على الدر المختار. بيروت: دار الفكر. (١٤١٢هـ). ١/ ٤٦٤. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي. البيان والتحصيل. بيروت: دار الغرب الإسلامي (١٤٠٨هـ). ٢١٧/١. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. المجموع شرح المهذب. بيروت: دار الفكر. (دون تاريخ). ٣٩٥/٣. أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي. المغني. القاهرة: مكتبة القاهرة (١٣٨٨هـ) ٧/١

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي.. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. بيروت: دار الكتب العلمية. (١٤٢١هـ) ٢٣/٢٩٢

قال ابن كثير "وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِمَنْ فَرَّغ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ رَاحَةً لَهُ وقُرَّة عَيْنٍ ".(١) وجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي، عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "حُبِّبَ إِلَيَّ الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة".(٢)

وقد جعله الإمام ابن قيم الجوزية أحد منازل التحقق بالعبودية في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٣) حيث قال وَالْخُشُوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: الْخُشُوعُ الِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْخُشُوعِ. فَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ. وَقِيلَ: الْخُشُوعُ خُمُودُ نِيرَانِ الشَّهْوَةِ، وَسُكُونُ دُخَانِ الصُّدُورُ، وَإِشْرَاقُ نُورِ التَّعْظِيمِ فِي الْقَلْبِ. وَأَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَثَمَرَتُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَهِيَ تُظْهِرُهُ.(٤) ومما يؤكد أن محل الخشوع هو القلب؛ ما روي عن سعيد بن المسيب أنه رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال "لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا، لَخَشَعَتْ

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر. (١٤١٤هـ). ٦/ ٤٠٣

(٢) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. مسند أحمد بن حنبل. بيروت: عالم الكتب (١٤١٩هـ) ٦٨/ ٥٨ ١٣٢. النسائي، سنن الكبرى ٧/ ٣ ٩٠٦

(٣) سورة الفاتحة: ٥.

(٤) مدارج السالكين.. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية. بيروت: دار الكتاب العربي. (١٤١٦هـ) ١/ ٥٧

جَوَارِحُهُ".[1]

وقد أطنب الإمام الغزالي في الحديث عن أسرار الصلاة، والمعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة، وبَيَّنَ أن حضور القلب هو روح الصلاة، وأن أقل ما يبقى به رمق الروح، هو الحضور عند التكبير، فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة. ولعل ما كتبه الغزالي – رحمه الله – عن فقه الصلاة وأسرارها يُعَدُّ من أروع ما كُتِب في هذا الباب، حيث جمع بين فقه الظاهر، وفقه الباطن الذي هو روح الصلاة، والفقهاء عادة ما يجتهدون في بيان أشكال الفقه الظاهري للعبادات وكيفية إيقاعها صحيحة وفق الشروط والأركان دون الاهتمام بأسرارها الباطنة.

المطلب الثاني: الإشفاق من خشية الله

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[2] الصفة الثانية من الصفات المتعلقة بأعمال القلوب؛ هي الخوف من خشية الله. جاء في اللسان الخَشْيَة: الخَوْف، خَشِيَ الرَّجُلُ يَخْشَى خَشْية أَي خَافَ، وخَشِيَه يَخْشَاه خَشْياً وخَشْيَة وخَشاةً ومَخْشاةً ومَخْشِيةً وخِشياناً وتَخَشَّاه كُلّهُا بمعنى: خافَهُ، وَهُوَ خاشٍ وخَشٍ وخَشْيانُ. وَيُقَالُ: هَذَا الْمَكَانُ أَخْشَى مِنْ ذَلِكَ

(١) أبو بكر بن أبي شيبة. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ). ٢/ ٨٦/ ٦٧٨٧.

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة. (دون تاريخ) ١/ ٢١٠.

(٣) سورة المؤمنون: ٥٧

أَي: أَشدُّ خَوْفًا.(١) قال الطبري "إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته، جادون في طلب مرضاته".(٢) فإنهم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجلون من مَكْرِه بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقةً، وإن المنافق جمع إساءةً وأمناً.(٣)

وقد نقل الواحدي أقوال السلف في معنى الخشية والإشفاق حيث قال: الخشية من الله أي: خشيته من عذابه وسخطه. والإشفاق: الخوف، وأشفق ومشفق من هذا الأمر. أي: خائف. قال ابن عباس: يريد أشفقوا من عذابي، ولم يأمنوا مكري، وقال الكلبي: خائفون من عذابنا، وهذه صفة أهل طاعته في الدنيا، وقال مقاتل: مشفقون من عذابه. ثم قال بعد ذلك "هذا قول المفسرين، وقد ذكروا ما يشفقون منه وهو العذاب، وحُذِف ذكرُهُ للإحاطة به والمعنى: والذين هم لما هم عليه من خشية الله مشفقون من عذابه، ولا يصح نظم الآية إلا بإضمار ما أشفقوا منه؛ لأنّه لا يقال: خَشِيَ من خشية الله إلا بإضمار مفعول (خَشِيَ). فإن جَعَلْتَ (من خشية الله) مفعول (خَشِيَ) لم يحسن، لأنَّه لا يُخْشَىَ من الخَشْيَة، كذلك هؤلاء لم يشفقوا من الخشية إنما أشفقوا من العذاب لِمَا انطووا عليه من خشية الله وحذر عذابه".(٤)

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ٤/٢٢٨

(٢) محمد بن جرير أبو جعفر الطبري. (جامع البيان في تأويل القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ)٩/ ٤٤

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر. (١٤١٤هـ). ٨/ ٤

(٤) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي. أسباب نزول القرآن. القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه. (دون تاريخ)١/ ٧

جاء في تفسير السلمي: الخشية، والإشفاق اثنان باطنان وهما من أعمال القلب، والخشية سر في القلب والإشفاق من الخشية أخفى، وقيل: الخشية انكسار القلب بدوام الانتصاب بين يديه، ومن بعد هذه المرتبة الإشفاق، والإشفاق أرق من الخشية، وألطف والخشية أرق من الخوف، والخوف أرق من الرهبة، ولكل منها صفة وأدب ومكان.(١) وقد تحدث الإمام ابن قيم عن الإشفاق وأدرجه في منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال رحمه الله " ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٢) منزلة الإشفاق. والْإِشْفَاقُ رِقَّةُ الْخَوْفِ، وَهُوَ خَوْفٌ بِرَحْمَةٍ مِنَ الْخَائِفِ لِمَنْ يَخَافُ عَلَيْهِ، فَنِسْبَتُهُ إِلَى الْخَوْفِ نِسْبَةُ الرَّأْفَةِ إِلَى الرَّحْمَةِ، فَإِنَّهَا أَلْطَفُ الرَّحْمَةِ وَأَرَقُّهَا".(٣)

وشأن المؤمن أنه يخاف اللهَّ ويعظمه، ويحبه، فهو يحب اللهَّ تعالى، ويحبه اللهَّ تعالى، وهو يعظم اللهَّ تعالى، ويخاف عذابه، فهو يستكثر أخطاءه، ويخاف العقاب، ولذلك كان من شأن أهل الإيمان أن يغلب في نفوسهم خوف العقاب على رجاء الثواب، وقد أكد سبحانه خشية المؤمنين وإشفاقهم في الآية الكريمة بمؤكدات: أولها – (إِنَّ) فهي لتوكيد الكلام، وثانيها – ضمير الفصل (هُم)، وثالثها – تقديم الخشية على مُتَعَلّقِهَا، ورابعها – التعبير بربهم، أي القائم

(١) لا سطي يبقة سيولا سطي ٣ ٧

(٢) مد ورة الفاتحة: ٥

(٣) بن قي مهمدارج لا سالكين ٨ ٤ ٥

على أمورهم وكالِئِهم، وحاميهم.(١)

المطلب الثالث: الإيمان بآيات الله

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾(٢) والصفة الثالثة من الصفات المتعلقة بأعمال القلوب والتي تَمَيّز بها المؤمنون هي الإيمان بآيات الله الكونية والشرعية. والإيمان بالله وآياته هو الأصل الذي بُعِثَتْ من أجله الرسل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإقامة الحجج والبراهين القاطعة على وجود الله وقدرته وعظمته واستحقاقه للعبودية دون غيره من الآلهة. قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٣).

والآية في القرآن تطلق على معنيين:(٤)

الأول: إطلاق الآية على آيات الوحي الدينية الشرعية، كآيات هذا القرآن العظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٤).

---

(١) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة. زهرة التفاسير. بيروت: دار الفكر العربي. (دون تاريخ). ٥/٨٥٨٠

(٢) سورة المؤمنون: ٥٨

(٣) سورة النساء: ١٦٥

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (١٤١٥هـ). ١/٨٧

(٥) سورة البقرة: ٢٥٢

الثاني: إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[1].

وأضاف بعضهم إطلاقاً ثالثاً وهو: إطلاق الآية على المعجزات التي يؤتيها الله رُسُلَهُ لإثبات صدق بلاغهم عن الله، مثل انشقاق البحر لموسى -عليه السلام-، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى -بإذن الله- لعيسى -عليه السلام- ، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[2] وهذه المعجزات لا تخرج[3] عن كونها آيات كونية قدرية.[4]

والإيمان النافع هو الذي يُغْرَسُ في قلب سليم من الجهل والشكوك والشبهات والتقاليد ويُسْقَى بعصارة تدبر آيات الله الكونية والقرآنية فيثمر في القلب والجوارح أطيب الثمرات من العبادة والطاعة.[5]. قال الفخر الرازي "واعلم أن آيات الله تعالى هي المخلوقات

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٠

(٢) سورة آل عمران: ٤٩

(٣) انظر: محمد علي الشعراوي. تفسير الشعراوي. خواطر. مصر: مطابع أخبار اليوم. (دون تاريخ). ٧٥٥٨/١٢. ٤.

(٤) عبد المجيد بن محمد الزنداني. الآيات الكونية دراسة عقدية. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود. (١٤٣٢ هـ). ٢٢/١

(٥) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة. (١٤٢٠ هـ). ١٣/١

الدالة على وجوده، والإيمان بها هو التصديق بها، والتصديق بها؛ إن كان بوجودها فذلك معلوم بالضرورة، وصاحب هذا التصديق لا يستحق المدح، وإن كان بكونها آيات ودلائل على وجود الصانع فذلك مما لا يتوصل إليه إلا بالنظر والفكر، وصاحبه لا بد وأن يصير عارفاً بوجود الصانع وصفاته، وإذا حصلت المعرفة بالقلب حصل الإقرار باللسان ظاهراً وذلك هو الإيمان."(١) ومن إعجاز القرآن أنه لا توجد آية كونية وردت الإشارة إليها في كتاب الله، إلا وهي مُدْرَكةٌ لجميع المخاطبين بها، يستوي في ذلك المتقدمون والمتأخرون، فالمتقدمون قد فهموا المراد بها على نحو ما انتهى إليه علمهم، وأدركوا دلالتها على ما سِيقت له، وإنما حصل للمتأخرين زيادة في معرفة التفاصيل.(٢)

وخلاصة المعنى في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، ويتفكرون أيضاً في الآيات القرآنية، ويتدبرونها ، فيبين لهم من معاني القرآن وجلالته واتفاقه، وعدم اختلافه وتناقضه، وما يدعو إليه من معرفة الله وخوفه، ورجائه وأحوال الجزاء، فيحدث لهم بذلك، من تفاصيل الإيمان، ما لا يعبر عنه اللسان.(٣)

المطلب الرابع: عدم الشرك بالله

الصفة الرابعة من صفات المؤمنين المتعلقة بأعمال القلوب هي عدم الشرك بالله تعالى:

---

(١) الرازي، التفسير الكبير ٢٣/٢٧٣

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤/٧

(٣) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة. (١٤٢٠هـ). ٨/٥٤

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) والشرك هو أن يتخذ من دون الله نِدّاً، يحبه كما يحب الله. أو هو صَرْفُ العبدِ شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى من أصنام أو أوثان، أو أشجار، أو أحجار، أو إنس، أو جن، أو قبور، أو أجرام سماوية، أو قوى طبيعية، أو غير ذلك.(٢)

قال الطبري "يخلصون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركاً لوثن ولا لصنم، ولا يراءون بها أحداً من خلقه، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصاً، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه".(٣) وقال ابن كثير" لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنه لا نظير له ولا كفء له."(٤)

وجاء في تفسير الرازي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ ليس المراد منه الإيمان بالتوحيد ونفي الشريك لله تعالى لأن ذلك داخل في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ بل المراد منه نفي الشرك الخفي، وهو أن يكون مخْلِصاً في العبادة لا يَقْدِم عليها إلا لوجه الله تعالى وطلب رضوانه والله أعلم.(٥) ويؤيد ذلك ما ذهب إليه القشيري في تفسير الآية حيث قال

---

(١) سورة المؤمنون: ٥٩

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (١/ ٣٤٠)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة (١٤١٦هـ). الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (١٠/ ٧)، ط: دار الفكر المعاصر (دمشق - سورية)، الطبعة: الثانية (١٤١٨هـ).

(٣) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن = تفسير الطبري (١/ ٦٦).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥/ ٤٨)

(٥) الرازي، التفسير الكبير = مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٧٣)

"يذرون جلّى الشّرك وخفيّه، والشّرك الخفيّ ملاحظة الخلق في أوان الطاعات، والاستبشار بمدح الخلق وقبولهم، والانكسار والذبول عند انقطاع رؤية الخلق."[1]

وقد فصل الإمام ابن قيم القول في بيان نوعي الشرك الجلي والخفي، أو الأكبر والأصغر حيث قال: وأما الشرك، فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نِدّاً، يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار {تالله إن كنا لفي ضلال مبين – إذ نسويكم برب العالمين} ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه ومَلِيكُه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم. وأما الشرك الأصغر فَكَيَسيرِ الرياء، والتصنع للخلق، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وإنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر، بحسب قائله ومقصده.[2]

ونلاحظ أن الإمام ابن قيم قيَّد الرياء الذي يكون شركاً أصغر بأن يكون يسيراً، ذلك أن الرياء إذا كان في أصل الإيمان فإنه يكون شركاً أكبر ، كرياء المنافقين، قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا

(١) القشيري ،لطائف الإشارات ٢/ ٥٧٨

(٢) ابن قيم الجوزية ،مدارج السالكين ١/ ٣٤٥

يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وأما الرياء الصادر من المسلم في الأعمال، فالأصل فيه أنه شرك أصغر غير مخرج من الملة، كما جاء في الحديث عن محمود بن لبيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ " قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً ".(١)

ومما هو جدير بالملاحظة اقتران هذه الآية بالتي قبلها في المعنى، فالآية السابقة فحواها إثبات صفة الإيمان بآيات الله الكونية والشرعية، وهذه فحواها نفي الشرك بالله جليّاً كان أم خفيّاً، فلم يقتصر على إثبات الإيمان وحده دون نفي الشرك لأن كثيراً من المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(٢) ولا يعترفون بتوحيد الألوهية والعبادة، فعبدوا الأصنام والأوثان ومعبودات أخرى.(٣)

المطلب الخامس: وجل القلوب خوفاً من الله

الصفة الخامسة من صفات المؤمنين المتعلقة بأعمال القلوب هي وجل القلوب خوفاً من الله :﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾(٤) والوَجَل: الْفَزَعُ وَالْخَوْفُ، وَجِلَ وَجَلًا، بِالْفَتْحِ. وَفِي الْحَدِيثِ " وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ

(١) ابن ماجه، السنن ٢/ ١٣٠٧ ح ٤٢٠٤

(٢) سورة لقمان: ٢٥

(٣) الزحيلي، التفسير المنير ١٨/ ١

(٤) سورة المؤمنون: ٦٠

الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ".(١) ووَجِلْتَ تَوْجَلُ وَفِي لُغَةٍ تَيْجَلُ، وَيُقَالُ: تَاجَلُ، وَجِلَ يَاجَلُ ويِيجَلُ، أَبدلوا الْوَاوَ أَلفاً كَرَاهِيَةَ الْوَاوِ مَعَ الْيَاءِ، وَقَلَبُوهَا فِي يِيجَلُ يَاءً لِقُرْبِهَا مِنَ الْيَاءِ، وَكَسَرُوا الْيَاءَ إِشْعاراً بِوَجِلَ، وَهُوَ شَاذٌّ.(٢)

قال ابن قيم: والوجل والخوف والخشية والرهبة والهيبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة، فالخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٣) فهي خوف مقرون بمعرفة، وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه، وأما الوجل فرجفان القلب، وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته، وأما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة، والإجلال: تعظيم مقرون بالحب. فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية.(٤)

ونقل القرطبي عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: يُؤْتُونَ الْإِخْلَاصَ وَيَخَافُونَ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُمْ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُ

(١) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ، ٥/ ٧٥٢، ح ٣١٠٢

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٧٢٨

(٣) سورة فاطر، ٢٨

(٤) ابن قيم، مدارج السالكين، ١/ ٥٨

رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ" وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ" قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: (لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وهُمْ لَهَا سَابِقُون" وَقَالَ الْحَسَنُ: لَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا كَانُوا مِنْ حَسَنَاتِهِمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ، أَشْفَقَ مِنْكُمْ عَلَى سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ تُعَذَّبُوا عَلَيْهَا.(١)

قال ابن كثير: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط.(٢) وجاء في تفسير الماوردي: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ فيه وجهان، أحدهما: يعني الزكاة. والثاني: أعمال البر كلها. ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أي خائفة، وقال بعضهم: وَجَلُ العارفِ من طاعته أكثر من وجِلِه من مخالفته لأن المخالفة تمحوها التوبة، والطاعة تطلب لتصحيح الغرض. ﴿ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: يخافون ألا ينجوا من عذابه إذا قدموا عليه. الثاني: يخافون ألّا تقبل أعمالهم إذا عرضت عليهم.(٣)

قال القشيري" يخلصون في الطاعات من غير إلمام بتقصير، أو تعريج في أوطان الكسل، أو جنوح إلى الاسترواح بالرّخص. ثم يخافون كأنهم ألّموا بالفواحش، ويلاحظون أحوالهم بعين

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. الرياض: دار عالم الكتب(٤٢٣ اهـ). ١٣٢/٢

(٢) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٥/ ٨ ٤

(٣) أبو الحسن علي بن محمد ،الشهير بالماوردي. النكت والعيون. بيروت: دار الكتب العلمية. (دون تاريخ). ٥٩/٤

الاستصغار، والاستحقار، ويخافون بغتات التقدير، وقضايا السخط".[1]

المبحث الثاني

الصفات المتعلقة بأعمال الجوارح

الصفات المتعلقة بأعمال الجوارح وهي ست صفات قسمها الباحث إلى ستة مطالب وهي: الإعراض عن اللغو، وإيتاء الزكاة، وحفظ الفروج، ورعاية الأمانات والعهود، والمحافظة على الصلوات، والمسارعة في الخيرات.

المطلب الأول: الإعراض عن اللغو

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾[2] الصفة الأولى من صفات المؤمنين المتعلقة بأعمال الجوارح في هذه السورة، هي الإعراض عن اللغو. واللغو في اللغة القول الباطل. جاء في الصحاح: لَغا يَلْغو لَغْواً، أي قال باطلاً. واللاغِيَةُ: اللَغْوُ. قال تعالى: ﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴾ ، أي كلمة ذات لغو. وهو مثل تامر ولابن، لصحاب التمر واللبن. واللغو في الأيمان: ما لا يُعقَد عليه القلب، كقول الرجل في كلامه: بَلى والله: ولا والله!.[3]

وقد تباينت أقوال المفسرين في معنى الإعراض عن اللغو، فقال الحسن البصري: الإعراض عن المعاصي، وقال ابن عباس: الحلف الكاذب، وقال الضحاك: الشرك، وقال

---

(١) القشيري ،لطائف الإشارات ٥٧٩/٢

(٢) سورة المؤمنون:٣

(٣) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين. ١٤٠٧هـ). ٢٤٣٦/٦

مقاتل: الشتم والأذى، وقال الزمخشري: هو كل ما لا يعنيك من قول أو فعل، كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه وإطراحه، والمعنى: أنّ بهم من الجدّ ما يشغلهم عن الهزل، وقال ابن عطية: هو سقط القول وهذا يعم جميع ما لا خير فيه ويجمع آداب الشرع، وقال غيرهم: ما لا يحمل من القول والفعل، وقيل: اللغو الفعل الذي لا فائدة فيه.(١)

قال الطبري في بيان معنى اللغو في الآية الكريمة "وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْبَاطِلِ وَمَا يَكْرَهُهُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ مُعْرِضُونَ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ".(٢) وذكر الرازي في اللغو أربعة أقوال: أحدها، أنه يدخل فيه كل ما كان حراماً أو مكروهاً أو كان مباحاً، ولكن لا يكون بالمرء إليه ضرورة وحاجة، وثانيها، أنه عبارة عن كل ما كان حراماً فقط، وهذا التفسير أخص من الأول، وثالثها، أنه عبارة عن المعصية في القول والكلام خاصة، وهذا أخص من الثاني، ورابعها، أنه المباح الذي لا حاجة إليه.(٣)

وقد وصف الله المؤمنين في كتابه بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾(٤) أي: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى

(١) انظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٠٣. أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤٠٧هـ). ٣/ ١٥٧. أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ). ٦/ ١٣. شهاب الدين محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي. (دون تاريخ). ٩/ ٢٠

(٢) الطبري، جامع البيان ١٧/ ١٠

(٣) الرازي، التفسير الكبير ٢٣/ ٢٦

(٤) سورة الفرقان: ٧٢

أعرضوا وصفحوا.(١) كما وصفهم في سورة القصص بقوله تعالى {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} أي لم يلتفتوا إليه، وزادوا على ذلك أنهم لم يسكتوا على اللغو إنما قالوا: لنا أعمالنا الخيِّرة التي يجب أنْ نُقبل عليها، ولكم أعمالكم الباطلة التي ينبغي أنْ تُترك، فكلٌّ مِنَّا له شَأْن يشغله.(٢)

وسياق الآية والآيات التي قبلها يخبر عن مؤمني أهل الكتاب وهو بيان لأسلوب من أساليب درء السيئة بالحسنة.. فهؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب، إذا لقيهم قومهم بالسفاهة، لم يقفوا معهم في هذا الموقف، بل أعرضوا، قائلين: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم، لا نجالس الجاهلين، ولا نتجه إليهم، وإنما نحن طلاب هدى وحق.. نطلب أهل الهدى والحق، ونرتاد مجالس أهل العلم والمعرفة.(٣) وقد دلت هذه الآيات على الأخلاق العليا التي ينبغي أن يتحقق بها من يدخل في هذا الدين من أهل الكتاب وهي أخلاق ينبغي أن يتحقق بها كل مؤمن، وكل ذلك في سياق التأكيد على أن هذا القرآن حق.(٤)

وجماع القول في معنى الإعراض عن اللغو أنه إشارة إلى أنهم لا يشغلون أنفسهم بالسفاسف، فليس عندهم من الوقت ما يضيعونه في اللغو والهزل والعبث، بما في ذلك الأقوال

---

(١) محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تفسير البغوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٠هـ). ٦/ ٩٨

(٢) سورة القصص، الآية ٥٥

(٣) تفسير الشعراوي، الخواطر، ١٠/ ٦٣٢٧

(٤) عبد الكريم يونس الخطيب. التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي. (دون تاريخ). ١٠/ ٦٥٣

(٥) سعيد حوى، الأساس في التفسير، القاهرة: دار السلام. (دون تاريخ). ٧/ ٩٦٤٠

الفارغة، والآراء العقيمة، والأعمال الطائشة التي لا جدوى من ورائها ولا نفع، وإنما يكرسون جهودهم وطاقاتهم لتحقيق الأهداف السامية التي أناطها بهم دينهم الحنيف، حتى يكتب لملتهم الظهور والانتشار، ولأمتهم الفوز والانتصار، وللإنسانية جمعاء التقدم والازدهار، ففي تلك الأهداف الكبرى ما يستنفد منهم الطاقات، ويملأ معظم الأوقات، ويجعلهم أهلاً لتحقيق المعجزات. وبديهي أن إعراضهم عن اللغو يستلزم تركه أولاً، وعدم الرضا به ثانياً، وتفادي مخالطة أهله أو مشاركتهم فيه ثالثاً.(١)

المطلب الثاني: إيتاء الزكاة

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾(٢) الصفة الثانية من صفات المؤمنين المتعلقة بأعمال الجوارح هي الزكاة. والزكاة من زَكَا يَزْكُو زَكاءً وزَكْواً: نَما، كأَزْكَى، وزَكَّاهُ الله تعالى وأَزْكاهُ. زَكِيَ، كرَضِيَ: أي نَما وزادَ. والزَّكاةُ: صَفْوَةُ الشيءِ، وما أَخْرَجْتَه من مالِكَ لتُطَهِّرَهُ به.(٣)

أما الفقهاء فقد سلكوا في تعريفها مسالك متباينة غير أنها تؤدي إلى معنى ومقصد واحد. فقد عرفها الأحناف بأنها تمليك مال مخصوص لشخص مخصوص عينه الشارع لوجه الله تعالى، وعرفها المالكية بأنها إِخْرَاجُ جُزْءٍ مَخْصُوصٍ مِنْ مَالٍ مَخْصُوصٍ بَلَغَ نِصَاباً لِمُسْتَحِقِّهِ إِنْ تَمَّ الْمِلْكُ وَحَوْلُ غَيْرِ مَعْدِنٍ وَحَرْثٍ، وعرفها الشافعية بأنها ما يُخْرِجُ مِن أموالٍ مخصوصةٍ

(١) محمد بن علي الصابوني. روائع البيان في أحاديث أحكام القرآن. بيروت: دار الغرب الإسلامي (١٤٠٥هـ). ٢٠/٤

(٢) سورة المؤمنون: ٤

(٣) مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي. القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٢٦هـ). ١٢/٢٩٧

لِمستحقِّينَ مخصوصِينَ على وجهٍ مخصوصٍ، وعند الحنابلة هي حَقٌّ يُجْبَ فِي مَالٍ خَاصٍّ، لِطَائِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ، فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ، وَتُسَمَّى صَدَقَةً.(١)

والزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين: القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير والمعنى: فعل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله، فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره، لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل، تقول للضارب: فاعل الضرب، وللقاتل: فاعل القتل: وللمزكى: فاعل التزكية.(٢)

قال ابن كثير: الأكثرون على أن المراد بالزكاة في الآية الكريمة زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾(٣) وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا: زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾

(١) انظر: حمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي. حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية بولاق، ١٣١٨هـ) ٦٨/١ ٤؛ محمد عليش. منح الجليل شرح على مختصر خليل وبهامشه تحفة الحبيب على شرح الخطيب المسماة بالبجيرمي على الخطيب. (دون سنة). فقه السنة. ٣٢/١ ؛ وهبة الزحيلي. الفقه الإسلامي وأدلته. ٧٩٢/٢

(٢) الزمخشري، الكشاف ٧٣٧/١

(٣) سورة الأنعام: ١٤١

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ (١) وكقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (٢) على أحد القولين في تفسيرها. وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال؛ فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا، والله أعلم.(٣)

وقد شرع الله الأحكام لمصالح الخلق، وحفظ نظام العالم فكانت حكمةَ مشروعية الزكاة هي المواساة. ففي حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن: "ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ".(٤) فقوله: "تُؤخذ من أغنيائهم وتُرد على فقرائهم" فيه تعليل وبيان لسبب الأخذ من الأغنياء وهو الرد على الفقراء لحاجتهم إلى ذلك المال مواساة لهم وتطييباً لخاطرهم.(٥)

المطلب الثالث: حفظ الفروج

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ

(١) سورة الشمس: ٩/ ١٠

(٢) سورة فصلت: ٦/ ٧

(٣) بدائع التفسير الجامع لتفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٢٦

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٥٠٤ ح ١٣٩٥

(٥) ابن عثيمين، تفسير ابن عثيمين، تفسير سورة النور ٢/ ٩٨

﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ (١) وحفظ الفروج هو الصفة الثالثة من صفات المؤمنين المتعلقة بأعمال الجوارح. والفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة، وحفظه التعفف عن الحرام.(٢) قال الشوكاني "الفرج: يطلق على فرج الرجل والمرأة، ومعنى حفظهم لها أنهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحل لهم. قيل: والمراد هنا الرجال خاصة دون النساء بدليل قوله: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ للإجماع على أنه لا يحل للمرأة أن يطأها من تملكه.(٣)

وحفظ الفروج يتضمن ثلاثة معان: أولها، معنى الصيانة، فهو يصونها عن رجس الحرام، ورجس الحرام معنوي ومادي. أما المعنوي فهو ما في الحرام من خبث يطهر نفسه منه، وأما المادي فهو يكون في الزنى من تعرض لأمراض خبيثة، هي التي جاءت من الأوربيين، والتي يسمى بعضها المرض الإفرنجي، وإن لم تكن معروفة، ولكنها عرفت. فمُنَزِّل القرآن هو علام الغيوب. ثانيها، الاستمساك والتحفظ بالعفة، وألا يرمي ماءه في غير محله، وليحفظ له نسبه. ثالثها، التقيد، أي ليسوا منطلقين يلقونها في أي مكان، وعلى أي امرأة، كل ينزو كما تنزو القردة، وكالحمار ينزو على كل أتان.(٤)

---

(١) سورة المؤمنون: ٥-٧

(٢) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن، باب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ، ٣/ ٢٣٢

(٣) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، دمشق: دار ابن كثير، (١٤١٤هـ)، ٣/ ٥٦٤

(٤) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ١٠/ ٤٦٨٥

فمن صفاتهم أنهم أعفاء ممسكون لشهواتهم لا يستعملونها إلا مع زوجاتهم التي أحلها الله – تعالى– لهم، أو مع ما ملكت أيمانهم من الإماء والسراري، وذلك لأن من شأن الأُمّة المؤمنة إيماناً حقّاً، أن تصان فيها الأعراض، وأن يحافظ فيها على الأنساب، وأن توضع فيها الشهوات في مواضعها التي شرعها الله – تعالى– وأن يغض فيها الرجال أبصارهم والنساء أبصارهن عن كل ما هو قبيح. وما وجدت أمة انتشرت فيها الفاحشة، كالزنا واللواط وما يشبههما، إلا وكان أمرها فرطاً، وعاقبتها خسراً، إذ فاحشة الزنا تؤدى إلى ضياع الأنساب، وانتشار الأمراض، وفساد النفوس من كل قيمة خلقية مقبولة.(١)

وفي حفظ الفروج طهارة الروح والبيت والجماعة، ووقاية النفس والأسرة والمجتمع بحفظ الفروج من دنس المباشرة في غير حلال، وحفظ القلوب من التطلع إلى غير حلال؛ وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب، ومن فساد البيوت فيها والأنساب. والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة معرضة للخلل والفساد. لأنه لا أمن فيها للبيت، ولا حرمة فيها للأسرة. والبيت هو الوحدة الأولى في بناء الجماعة، إذ هو المحضن الذي تنشأ فيه الطفولة وتدرج; ولا بد له من الأمن والاستقرار والطهارة، ليصلح محضناً ومدرجاً، وليعيش فيه الوالدان مطمئناً كلاهما للآخر، وهما يرعيان ذلك المحضن. ومن فيه من فراخ.(٢)

قال ابن قيم إنّ من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين، وأنّه من الملومين، ومن العادين.

(١) محمد سيد طنطاوي. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار نهضة(١٩٩٧م). ١٣/٠

(٢) سيد قطب إبراهيم. في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق.(١٤٢٣هـ). ٤/ ٢٤

ففاته الفلاح، واستحقّ اسم العدوان، ووقع في اللوم. فمقاساةُ ألم الشهوة ومعاناتُها أيسر من بعض ذلك.[1] وقال الغزالي "ولا تصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر، وحفظ القلب عن التفكر، وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع؛ فإن هذه محركات للشهوة ومغارسها".[2]

وفي قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ فأن مسألة ملك اليمين والتسري كانت مسألة تأريخية، وقد تجاوزها الإسلام اليوم لأنه جاء لتحرير البشر من الرق والعبودية. يقول صاحب الظلال "أن الإسلام قد جاء والرق نظام عالمي، واسترقاق أسرى الحرب نظام دولي. فما كان يمكن والإسلام مشتبك في حروب مع أعدائه الواقفين بالقوة المادية في طريقه أن يلغي هذا النظام من جانب واحد، فيصبح أسارى المسلمين رقيقاً عند أعدائه، بينما هو يحرر أسارى الأعداء. فجفف الإسلام كل منابع الرق – عدا أسرى الحرب – إلى أن يتاح للبشرية وضع نظام دولي للتعامل بالمثل في مسألة الأسرى[3].

ويدخل في معني قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ كل أنواع الفساد والانحطاط الأخلاقي من الزني واللواط والسحاق ومواقعة البهائم والاستمناء وما استحدثه العصر من وسائل الاستمناء وتفريغ الشهوة الجنسية بالأجهزة الالكترونية الحديثة – والعياذ بالله –. وكل ذلك من وسائل الغرب في تدمير الأمم والشعوب بتدمير القيم

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين ٣/ ٣٤

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين ٣/ ٥٧

(٣) سيد قطب، الظلال ٤/ ٢٤

والأخلاق.

المطلب الرابع: حفظ الأمانات ورعاية العهود

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ (١) الصفة الرابعة من صفاتُ المؤمنين المتعلقة بأعمال الجوارح هي حفظ الأمانات ورعاية العهود. والأَمْنُ: ضدُّ الْخَوْفِ. والأَمانةُ: ضدُّ الخِيانة. ومُؤْتَمَنُ الْقَوْمِ: الَّذِي يثِقون إِلَيْهِ وَيَتَّخِذُونَهُ أَمِيناً حَافِظًا. والعَهْدُ كُلُّ مَا عُوهِدَ اللهُ عَلَيْهِ، وكلُّ مَا بَيْنَ العبادِ مِنَ المواثِيقِ، فَهُوَ عَهْدٌ. وَفِي حَدِيثِ الدُّعاءِ: "وأَنا عَلَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ مَا استَطَعْتُ" أَي أَنا مُقِيمٌ عَلَى مَا عاهَدْتُك عَلَيْهِ مِنَ الإِيمان بِكَ والإِقرار بوَحْدانيَّتِك لَا أَزول عَنْهُ. وَالْعَهْدُ: الَّذِي يُكتب لِلْوُلَاةِ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْهُ، وَالْجَمْعُ عُهودٌ، والعَهْدُ: المَوْثِقُ وَالْيَمِينُ يَحْلِفُ بِهَا الرَّجُلُ، والْمُعَاهَدُ: الذِّمِّيُّ. وأَهلُ العهدِ: أَهل الذِّمَّةِ، وَالْعَهْدُ: الِالْتِقَاءُ. وعَهِدَ الشيءَ عَهْداً: عرَفه؛ وَمِنَ العَهْدِ أَن تَعْهَدَ الرجلَ عَلَى حَالٍ أَو فِي مَكَانٍ، وعَهِدْتُه بِمَكَانِ كَذَا أَي لَقِيتُه وعَهْدِي بِهِ قَرِيبٌ.(٢)

قرأ الجمهور:{ لأماناتهم} بالجمع. وقرأ ابن كثير بالتوحيد والإفراد. وَاخْتَلَفُوا فِي: ﴿ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ ﴾ فَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ بِالتَّوْحِيدِ والإفراد، وَقَرَأَهَا الْبَاقُونَ بِالْجَمْعِ.(٤)

---

(١) سورة المؤمنون:٨

(٢) صحيح البخاري ٨/ ٦٧ ٦ ٣٠

(٣) ابن منظور، لسان العرب ٣١٣٣

(٤) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري. شرح طيبة النشر في القراءات. بيروت: دار الكتب العلمية.(٤٢٠ هـ).

٤ ٤٧

قال القرطبي "والأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً فعلاً. وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به. والأمانة أعم من العهد، وكل عهد فهو أمانة فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد. والمحافظة على الصلاة إقامتها والمبادرة إليها أوائل أوقاتها، وإتمام ركوعها وسجودها.(١)

جاء في التفسير الكبير: واعلم أنه يسمى الشيء المُؤْتَمَن عليه والمُعَاهد عليه أمانةً وعهداً، والراعي القائم على الشيء لحفظ وإصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية، ويقال "مَنْ راعِي هذا الشيء؟ أي موليه". واعلم أن الأمانة تتناول كل ما تركه يكون داخلاً في الخيانة، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(٢) فمن ذلك العبادات التي المرء مؤتمن عليها، وكل العبادات تدخل في ذلك، ومن جملة ذلك ما يلتزمه بفعل أو قول فيلزمه الوفاء به كالودائع والعقود وما يتصل بهما، ومن ذلك أن يراعي أمانته فلا يفسدها بغصب أو غيره، وأما العهد فإنه دخل فيه العقود والأيمان والنذور، فبين سبحانه أن مراعاة هذه الأمور والقيام بها معتبر في حصول الفلاح.(٣)

أن رعاية العهود والأمانات وحفظها من علامات الإيمان، وإذا أردت أن تعرف إيمان العبد ودينه فانظر حاله: هل يرعى الأمانات كلها مالية أو قولية، أو أمانات الحقوق؟ وهل يرعى الحقوق والعهود والعقود التي بينه وبين الله، والتي بينه وبين العباد؟ إذ لم يكن كذلك

(١) القطبي، الجامع لأحكام القرآن ٧٢ ١٠

(٢) سورة الأنفال ٢

(٣) الرازي، التفسير الكبير ٢٣ ٢٢٢

نقص من دينه وإيمانه بمقدار ما انتقص من ذلك.(١)

المطلب الخامس: المحافظة على الصلوات

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(٢) الصفة الخامسة من الصفات المتعلقة بأعمال الجوارح هي المحافظة على الصلوات. والمراد بالمحافظة المداومة عليها في مواقيتها، ففي حديث أبي عمرو الشيباني قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله؟ قال: "الصلاة على وقتها". قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين". قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"(٣) قال الطبري" والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها، ونقل ذات المعنى عن مسروق ومسلم بن صبيح وغيرهم".(٤)

يُلاحَظُ أن الله تعالى افتتح ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ واختتمها بالصلاة، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فدل ذلك على أفضليتها. والخشوع والمحافظة متغايران، بدأ أولاً بالخشوع وهو الجامع للمراقبة القلبية والتذلل بالأفعال البدنية، وثَنَّى بالمحافظة وهي تأديتها في وقتها بشروطها من طهارة المصلي وملبوسه ومكانه وأداء أركانها على أحسن هيئاتها، ويكون ذلك

(١) الكتاب: علي محمد الصلابي. الوسطية في القرآن الكريم. بيروت: دار المعرفة. (دون تاريخ). ٢/ ٣

(٢) سورة المؤمنون: ٩

(٣) صحيح البخاري ١/ ١١٢ ٥

(٤) الطبري، جامع البيان ١٧/ ١٣

دأبه في كل وقت.(١) قال الزمخشري: وُصِفوا أَوّلاً بالخشوع في صلاتهم، وآخراً بالمحافظة عليها. وذلك ألّا يَسْهُوا عنها، ويُؤدّوها في أوقاتها، ويُقِيموا أركانها، ويُوكِلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتمّ به أوصافها. وأيضاً فقد وُحِّدت أولاً، ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت، وجُمِعَتْ آخراً لتفاد المحافظة على أعدادها: وهي الصلوات الخمس، والوتر، والسنن المرتبة مع كل صلاة، وصلاة الجمعة، والعيدين، والجنازة، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى، والتهجد، وصلاة التسبيح، وصلاة الحاجة. وغيرها من النوافل.(٢)

قال القشيري "لا تصادفهم الأوقات، وهم غير مستعدين، ولا يدعوهم المنادى وهم ليسوا بالباب، فهم في الصف الأول بظواهرهم، وكذلك في الصف الأول بسرائرهم".(٣) وفي سياق بيان صفات المؤمنين في سورة المعارج قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾(٥) ومعناه يحافظون على أوقاتهم وواجباتهم. وقيل: المراد بالدوام هاهنا السكون والخشوع، ومنه الماء الدائم، أي: الساكن

(١) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر. (١٤٢٠هـ). ٦٧/ ٣

(٢) الزمخشري، الكشاف ٨٣/ ١

(٣) القشيري، لطائف الإشارات ٥٦٨/ ٢

(٤) سورة المعارج: ٢٣

(٥) سورة المعارج: ٣٤

الراكد وقيل: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه.(١) كما جاء في الصحيح عن عائشة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ".(٢)

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود مرفوعاً:"مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ".(٣)

وفيه إشارة إلى أهمية المساجد وإقامة صلاة الجماعة فيها، وأن المداومة عليها والمحافظة عليها في جماعة هو من صفات أهل الإيمان وفي الحديث ذم لمن يتخلف عن الجماعة بغير عذر.

المطلب السادس: المسارعة في الخيرات والسبق لها

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾(٤) لما ذكر صفات المؤمنين

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٦/٨م ٢٢

(٢) صحيح البخاري ٨/ ٦٨م/ ٦٤

(٣) صحيح مسلم ١/ ٣٤/ ٦٥

(٤) سورة المؤمنون: ٦

المخلصين قال بعده: چپ پ ت ث چ وفيه وجهان: أحدهما: أن المراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها لئلا تفوت عن وقتها ولكيلا تفوتهم دون الاحترام. والثاني: أنهم يتعجلون في الدنيا أنواع النفع ووجوه الإكرام، أما قوله: ﴿ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ فالمعنى فاعلون السبق لأجلها، أو سابقون الناس لأجلها، أو أنهم ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا.(١)

وقد أكد الزجاج ذات المعاني التي ذكرها الرازي حيث قال "وجائز أن يُقَال (يُسْرِعُونَ) في الخيرات، ومعناه معنى يسارعون. يقال أَسْرَعت، وسَارَعْتُ في معنى واحدٍ، إلا أن سارعت أبلغ من أَسْرَعْتُ. وقوله: ﴿ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾.فيهِ وجهانِ أحدهما معناه إليها سابقون، كما قال: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ (٢) أي أَوحَى إليها. ويجوز: ﴿ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ أي من أجل اكتسابها، كما تقول: أَنَا أُكْرِمُ فُلَانَاً لك، أي مِنْ أَجْلِكَ.(٣) وبالمسارعة إلى الخيرات تبتغي درجة السابقين ويطلب مقام الواصلين لا بالدعاوي، والإهمال، وتضييع الأوقات، ومن أراد الوصول إلى المقامات من غير آداب ورياضات ومجاهدات، فقد خاب وخسر وحرم الوصول إليها بحال.(٤)

قال السعدي: يسارعون في الخيرات أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، هَمُّهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم

(١) الرازي، التفسير الكبير ٢٣/ ٢٨٢

(٢) سورة الزلزلة: ٥

(٣) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج. معاني القرآن وإعرابه. بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ). ٥/ ١٧٤

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢/ ٣

الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه، قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفى عند ربهم، فنافسوهم. ولما كان السابق لغيره المسارع قد يَسْبِق لجده وتشميره، وقد لا يَسْبِق لتقصيره، أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم السابقين فقال: ﴿ وَهُمْ لَهَا ﴾ أي: للخيرات ﴿ سَٰبِقُونَ ﴾ قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون.(١)

ويجدر بالمؤمن الذي يقدر قيمة الوقت أن يغمره بفعل الخير ما استطاع إليه سبيلاً، ولا ينهض إلى الخير في تثاقل وتكاسل، أو يؤدي بعضه ويؤجل بعضه. قال الحسن البصري رضي الله عنه: أدركت أقواماً كانوا على أنفاسهم وأوقاتهم أشد حفظاً وأحرص شفقة منكم على دنانيركم ودراهمكم، كما لا يُخْرِجُ أحدكم درهمه ولا دينار إلا في ورود منفعة واستجلاب فائدة، كذلك كانوا لا يضيعون نفساً من أنفاسهم في غير طاعة أبدًا. وقال عمر بن عبد العزيز: يا ابن آدم إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما. وقال آخر: من كان يومه كأمسه فهو مغبون.(٢)

هؤلاء هم الذين حافظوا على أوقاتهم فكانوا يستغلون أوقاتهم في سيرهم في الطريق للعمل بطاعة الله، ويغتنمون كل لحظة من أعمارهم بطاعة الله، لا كما نلاحظه اليوم من ضعف الهمم، والمسارعة في اللهو والباطل الذي لا فائدة فيه للمؤمن في دينه ودنياه.

---

(١) لسعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٤٧/٥

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. القاهرة: ط جديدة محققة. ١٤١٩هـ). ٣١١/٥

خاتمة

في ختام هذا البحث فإني ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- تُعَدُّ سورة المؤمنون من السور المكية التي تحدثت عن صفات المؤمنين، حيث اشتملت على نحوٍ من إحدى عشرة صفة من صفات المؤمنين؛ منها ما هو متعلق بأعمال القلوب، ومنها ما هو متعلق بأعمال الجوارح.

٢- انحصرت الصفات المتعلقة بأعمال القلوب في سورة المؤمنين في خمس هي: الخشوع في الصلاة، والإشفاق من خشية الله، والإيمان بآيات الله، وعدم الشرك بالله، ووجل القلوب مخافة التقصير في جنب الله.

٣- أمّا الصفات المتعلقة بأعمال الجوارح فقد انحصرت في ست وهي: الإعراض عن اللغو، وإيتاء الزكاة، وحفظ الفروج، ورعاية الأمانات والعهود، والمحافظة على الصلوات، والمسارعة في الخيرات.

٤- لأهمية الصلاة وموقعها من الإسلام فقد صُدِّر بذكرها في أول السورة في سياق بيان صفات المؤمنين، كما خُتِمَ بها عند ذكر آخر أوصافهم مع بشارتهم بوراثة الفردوس الأعلى من الجنة.

٥- إن التزام المؤمنين وتمسكهم بالصفات الإيمانية خير دليل على رسوخ الإيمان في نفوسهم وذلك هو السبيل لنصرتهم وعزتهم والظفر على عدوهم.

٦- أن هذه الصفات لا يقوى على التحقق والتحلي بها إلا من عَمَرَ الإيمانُ قُلُوبَهم، فالإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا العمل كل حريصٍ حادبٍ على دينه وإيمانه، ساعٍ إلى إصلاح نفسه وأمته.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.